أنبياء الله

مُحمّدٌ

صلى الله عليه وسلم



سفير

محمد

صلى الله عليه وسلم

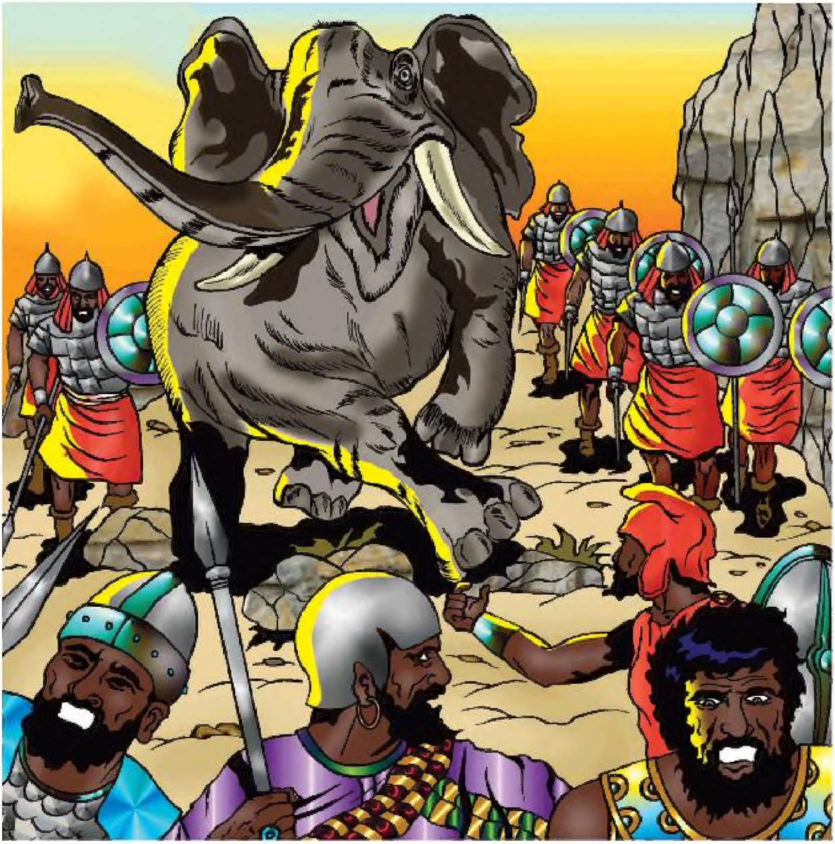
رسوم
د. سامى أنور

إعداد
عمر على الكومي
أحمد عبد الرازق

إخراج فني
على الريس

سفير

رقم الإيداع : ٢١٣٩٩ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى : ISBN 977 - 361 - 665 - 7
سفير
١٦ ش محمد عز العرب من ش قصر العينى – ص . ب : ٤٢٥ الدقى – القاهرة
تليفون : ٢٥٣٢٩٩٠٢– ٢٠٢+ **فاكس** : ٢٥٣٢٩٥٠٥ – ٢٠٢+
Web Site: www.safeer.com.eg **E-Mail: info @ Safeer.com.eg**
المعرض الدائم :
٤٨ ش أحمد عرابى – المهندسين
ت : ٣٣٠٤٩٤٠٣/ ٢٠٢+



وُلِدَ « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ » ﷺ فِى مَكَّةَ فِى يَوْمِ الاثْنَيْنِ الْمُوَافِقِ (١٢ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ)، وَكَانَ ذَلِكَ فِى عَامِ الْفِيلِ، الَّذِى يُوَافِقُ عَامَ (٥٧١م).

وقَدِ اخْتَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « مُحَمَّدًا » مِنْ أَفْضَلِ بُيُوتِ قُرَيْشٍ، وَأَكْرَمِهَا نَسَبًا، فَجَدُّهُ « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » سَيِّدُ مَكَّةَ وَزَعِيمُهَا، وَأُمُّهُ « آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ » مِنْ أَنْبَلِ نِسَاءِ مَكَّةَ وَأَعْلاهَا نَسَبًا، وَأَكْرَمِهَا خُلُقًا.

وَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ « عَبْدُ اللَّهِ » وَأُمُّهُ حَامِلٌ بِهِ، وَعِنْدَ وِلادَتِهِ فَرِحَ بِهِ جَدُّهُ فَرَحًا شَدِيدًا، وَسَمَّاهُ « مُحَمَّدًا »، وَعَهِدَ إِلَى السَّيِّدَةِ « حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ » بِإِرْضَاعِهِ، فَأَخَذَتْهُ مَعَهَا إِلَى « بَادِيَةِ بَنِى سَعْدٍ »، وَبَقِىَ عِنْدَهَا حَتَّى بَلَغَ الرَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِهِ، ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى أُمِّهِ فِى مَكَّةَ، وَظَلَّ مَعَهَا حَتَّى تُوُفِّيَتْ وَهُوَ فِى السَّادِسَةِ مِنْ عُمُرِهِ.



وَبَعْدَ وَفَاةِ أُمِّهِ تَكَفَّلَ جَدُّهُ « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ » بِرِعَايَتِهِ وَتَرْبِيَتِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعَطْفِ عَلَيْهِ، يُحِبُّهُ وَيَحْنُو عَلَيْهِ وَيُقَرِّبُهُ مِنْهُ وَيُدْنِيهِ، وَيُجْلِسُهُ عَلَى فِرَاشِهِ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ لأَبْنَائِهِ حِينَ يُحَاوِلُونَ مَنْعَ « مُحَمَّدٍ » مِنَ الاقْتِرَابِ مِنْ مَجْلِسِهِ: « دَعُوا ابْنِي، فَوَاللَّهِ، إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا ».

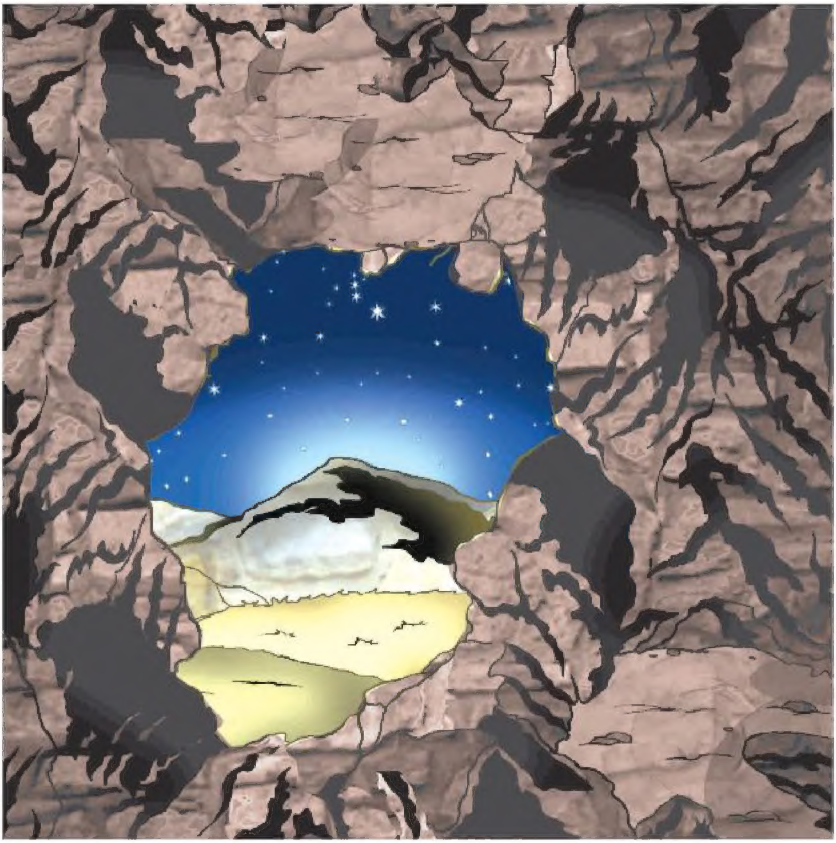
وَلَمَّا بَلَغَ « مُحَمَّدٌ » ﷺ الثَّامِنَةَ مِنْ عُمُرِهِ تُوُفِّيَ جَدُّهُ « عَبْدُ الْمُطَّلِبِ »، فَكَفَلَهُ وَرَبَّاهُ عَمُّهُ « أَبُو طَالِبٍ »، وَكَانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، وَيَخُصُّهُ بِالطَّعَامِ، وَيُفَضِّلُهُ عَلَى أَبْنَائِهِ... وَمَعَ هَذَا لَمْ يَرْغَبْ « مُحَمَّدٌ » أَنْ يُثْقِلَ عَلَى عَمِّهِ، فَاشْتَغَلَ بِرَعْيِ الأَغْنَامِ فِي مَكَّةَ، نَظِيرَ أَجْرٍ قَلِيلٍ، وَبِذَلِكَ ضَرَبَ مَثَلا عَالِيًا مُنْذُ صِغَرِهِ فِي اكْتِسَابِ الرِّزْقِ بِالْكَدِّ وَالتَّعَبِ، وَأَعَانَهُ هَذَا الْعَمَلُ الشَّاقُّ، عَلَى الصَّبْرِ وَتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ، وَمُسَاعَدَةِ



الْغَيْرِ، وَالإحْسَاسِ بِالضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

وَعِنْدَمَا كَبِرَ «مُحَمَّدٌ» عُرِفَ بَيْنَ قَوْمِهِ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ، وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ «الأَمِينَ»، ثُمَّ طَلَبَتْهُ السَّيِّدَةُ «خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» لِيُتَاجِرَ فِي مَالِهَا، ثُمَّ تَزَوَّجَتْهُ لِمَا عَرَفَتْ مِنْ أَخْلاقِهِ وَسَمَاحَتِهِ، وَصِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَحُبِّ النَّاسِ لَهُ.

كَانَ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَعِيشُونَ فِي ضَلالٍ وَكُفْرٍ، بَعْدَمَا ابْتَعَدُوا عَنْ دِينِ أَبِيهِمْ «إِبْرَاهِيمَ»، وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ، وَتَرَكُوا عِبَادَةَ اللَّهِ الْوَاحِدِ... أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَقَدْ عَاشَ بَيْنَهُمْ وَهُوَ رَافِضٌ لِمَا يَقْتَرِفُهُ قَوْمُهُ مِنْ عَادَاتٍ سَيِّئَةٍ، فَكَانَ يُشَارِكُهُمْ فِيمَا هُوَ خَيْرٌ وَمُفِيدٌ، وَيَتَجَنَّبُ مُشَارَكَتَهُمْ فِيمَا هُوَ شَرٌّ وَفَاسِدٌ.



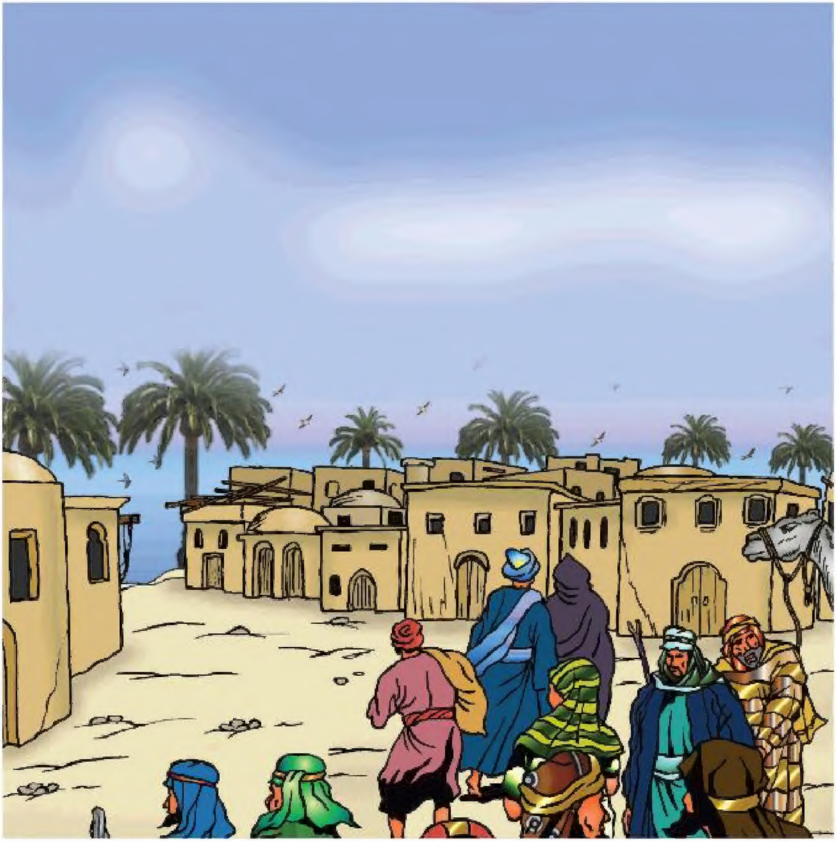
وَعِنْدَمَا بَلَغَ «مُحَمَّدٌ» ﷺ الْخَامِسَةَ وَالثَّلاثِينَ أَحَبَّ الْخَلْوَةَ، وَالتَّأَمُّلَ فِى خَلْقِ اللَّهِ، وَالتَّفَكُّرَ فِى مَلَكُوتِهِ، فَكَانَ يَذْهَبُ بَعِيداً عَنْ مَكَّةَ إِلَى غَارِ حِرَاء، فِى رَمَضَانَ مِنْ كُلِّ عَامٍ يَعْبُدُ اللَّهَ، وَيُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

وَظَلَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ عَامٍ، حَتَّى بَلَغَ سِنَّ الأَرْبَعِينَ، وَفِى إِحْدَى لَيَالِى رَمَضَانَ، وَبَيْنَمَا كَانَ النَّبِىُّ ﷺ فِى الْغَارِ جَاءَ «جِبْرِيلُ» – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِالْوَحْيِ، فَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَفِى كُلِّ ضَمَّةٍ يَقُولُ لَهُ: «اقْرَأْ» فَيَقُولُ النَّبِىُّ ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»،وَفِى الْمَرَّةِ الأَخِيرَةِ قَالَ لَهُ:



﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ .

عَادَ « مُحَمَّدٌ » إِلَى بَيْتِه وَدَخَلَ عَلَى « خَدِيجَةَ » وَهُوَ يَرْتَجِفُ مِنْ هَوْلِ الْمُفَاجَأَة، وَيَقُولُ لَهَا: زَمِّلُونِى.. زَمِّلُونِى، أَىْ غَطُّونِى وَلُفُّونِى بِالثِّيَابِ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ، حَتَّى هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَذَهَبَ عَنْهُ الْخَوْفُ، ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهَا مَا حَدَثَ لَهُ فِى الْغَارِ، فَطَمْأَنَتْهُ، ثُمَّ أَسْرَعَتْ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا « وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَل »، وَكَانَ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّة، عَالِمًا بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْخَبَرَ، فَطَمْأَنَهَا، وَبَشَّرَهَا قَائِلاً: إِنَّ « مُحَمَّدًا » لَنَبِىُّ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَقُولِى لَهُ فَلْيَثْبُتْ.



نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَأْمُرُهُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، فَأَخَذَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلامِ سِرًّا، فَبَدَأَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، وَأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ زَوْجَتُهُ «خَدِيجَةُ»، وَمِنَ الرِّجَالِ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ»، وَمِنَ الصِّبْيَانِ «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»، وَمِنَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مُبَكِّرًا: «بِلالُ بْنُ رَبَاحٍ»، وَ«زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ»، وَ«عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ»، وَ«عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ»، وَ«الأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الأَرْقَمِ».

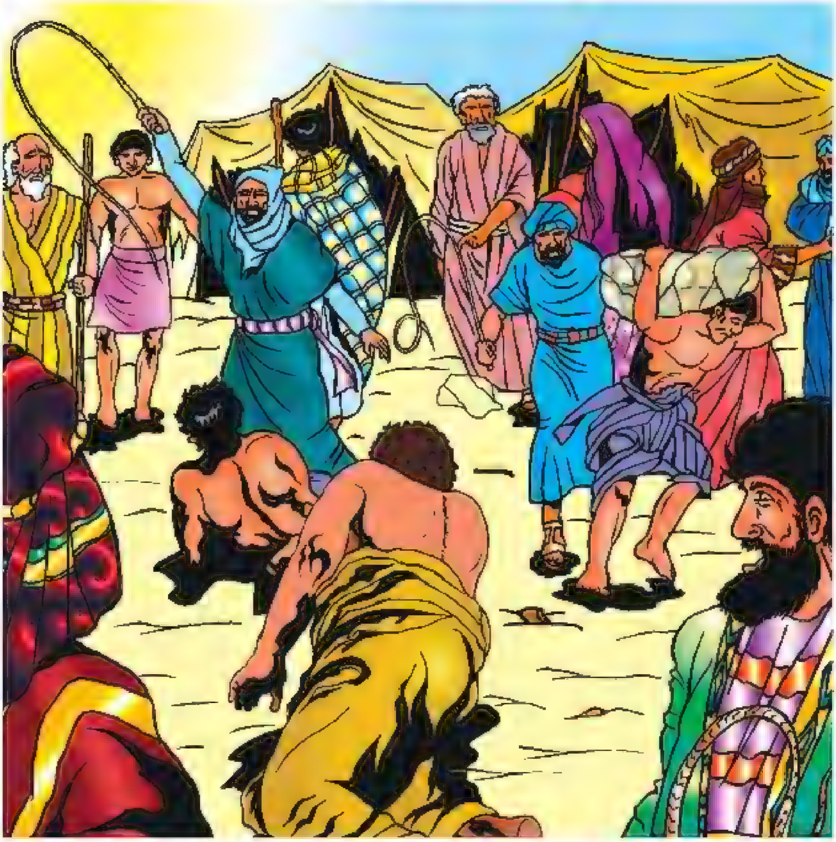
وَاخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ دَارَ «الأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الأَرْقَمِ» مَكَانًا يَجْتَمِعُ فِيهِ سِرًّا مَعَ أَصْحَابِهِ، يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ، وَيُرَبِّيهِمْ عَلَى تَعَالِيمِ الإِسْلامِ، وَكَانَتْ دَارُ الأَرْقَمِ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْ أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ.



وَظَلَّ النَّبِىُّ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ سِرًّا إِلَى الإِسْلامِ ثَلاثَ سِنِينَ، حَتَّى جَاءَ الأَمْرُ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ «مُحَمَّدٍ» بِالْجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ، وَالإِعْلانِ عَنْهَا، فَسَارَعَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَى إِبْلاغِ الدَّعْوَةِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا.

وَقَدْ قَابَلَتْ قُرَيْشٌ دَعْوَةَ النَّبِىِّ ﷺ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَالاضْطِهَادِ، فَاسْتَهْزَءُوا بِالنَّبِىِّ ﷺ وَاتَّهَمُوهُ مَرَّةً بِأَنَّهُ مَجْنُونٌ وَمَرَّةً بِأَنَّهُ سَاحِرٌ، وَمَرَّة بِأَنَّهُ كَاهِنٌ وَشَاعِرٌ.

وَكَانُوا يُلْقُونَ عَلَيْهِ الْقَاذُورَاتِ وَهُوَ يُصَلِّى، وَيَضَعُونَ الشَّوْكَ وَالأَذَى فِى طَرِيقِهِ، وَكَانَ لا يَحْمِيهِ مِنْ بَعْضِ أَذَى قُرَيْشٍ سِوَى عَمِّهِ «أَبِى طَالِبٍ»، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ إِسْلامِهِ.



وَامْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ، فَشَمِلَ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ ﷺ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُعَذِّبُ الْعَبِيدَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ، مِثْلَ «بِلالِ بْنِ رَبَاحٍ»، وَكَانَ سَيِّدُهُ يَضَعُ حَبْلا فِى عُنُقِهِ، وَيُسَلِّمُهُ إِلَى الصِّبْيَانِ يَطُوفُونَ بِهِ فِى جِبَالِ مَكَّةَ، ثُمَّ يَتْرُكُهُ فِى حَرِّ الشَّمْسِ الْحَارِقَةِ، وَيَأْمُرُ بِوَضْعِ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى صَدْرِهِ. وَاسْتُشْهِدَ نَتِيجَةَ التَّعْذِيبِ «يَاسِرُ بْنُ عَامِرٍ»، وَزَوْجَتُهُ «سُمَيَّةُ» فَكَانَا أَوَّلَ شَهِيدَيْنِ فِى الإِسْلامِ، وَلَمْ يَسْلَمِ ابْنُهُمَا «عَمَّارٌ» مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ.

كَمَا ذَاقَ «خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ» أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، فَكَانُوا يَأْخُذُونَ بِشَعْرِ رَأْسِهِ، وَيَجْذِبُونَهُ جَذْبًا، وَيَلْوُونَ عُنُقَهُ بِعُنْفٍ، ثُمَّ يُلْقُونَهُ عَلَى الصُّخُورِ الْمُلْتَهِبَةِ، وَيَضَعُونَ عَلَيْهِ حَجَرًا كَبِيرًا، حَتَّى لا يَسْتَطِيعَ أَنْ يَقُومَ.



وَقدْ قَابَلَ الْمُسْلِمُونَ هَذَا الْبَلاءَ بالصَّبْرِ، وكَانَ قُدْوَتَهُمْ فِي ذَلكَ النَّبِيُّ ﷺ ، الَّذِي كَانَ يَتَعَرَّضُ لأَشَدِّ أَنْوَاعِ الإِيذَاءِ وَهُو صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، حَتَّى إنَّ قُرَيْشًا حَاوَلَتْ قَتْلَهُ عِنْدَما قَامَ «عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ» إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي الكَعْبَةِ، وَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، وَلَمْ يُخَلِّصْهُ مِنْ يَدَيْهِ سِوَى «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ»، الَّذِي دَفَعَ «عُقْبَةَ» بَعِيدًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ.

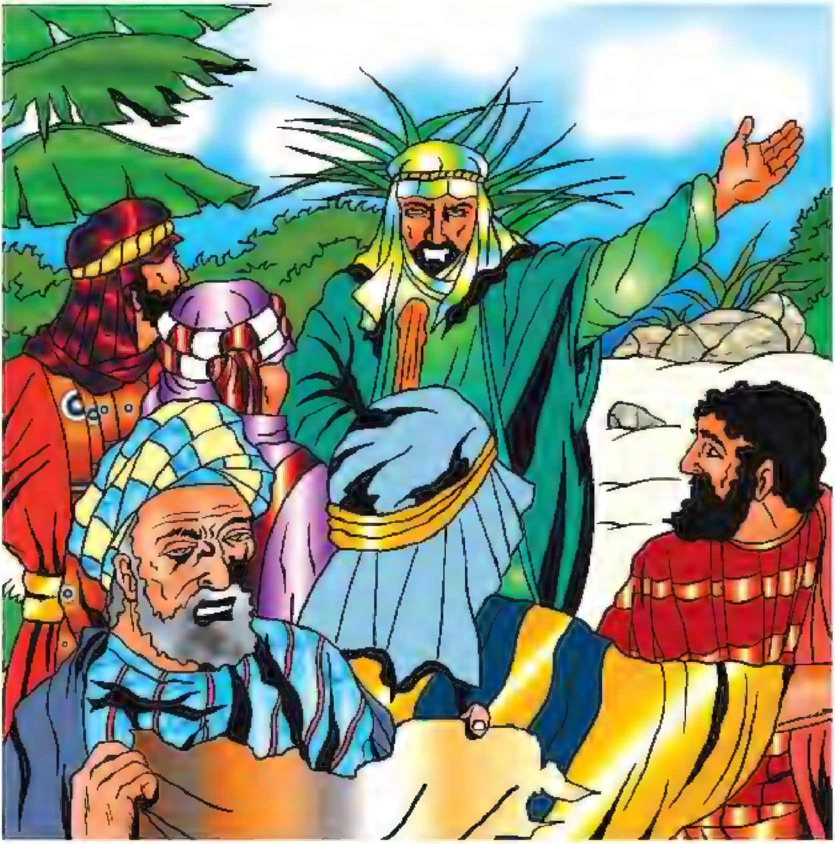
وكَانَ كُلَّمَا اشْتَدَّ الإِيذَاءُ بِالْمُسْلِمِينَ اشْتَدَّ إِيمَانُهُمْ وَتَمَسُّكُهُمْ بِدِينِهِمُ الْحَقِّ إِلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ، جَعَلَتْ «عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ»، يَجْلِسُ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَيَجْهَرُ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ، وَعِنْدَمَا رَآهُ الْمُشْرِكُونَ أَوْسَعُوهُ ضَرْبًا وَرَكْلًا لِيَكُفَّ عَنِ الْقِرَاءَةِ، وَلَكِنَّهُ أَصَرَّ عَلَى أَنْ يُكْمِلَ السُّورَةَ.



وَلَمَّا اشْتَدَّ الإيذاءُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْعَامِ الْخَامِسِ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَخَرَجَ أَوَّلُ فَوْجٍ خُفْيَةً دُونَ أَنْ تَشْعُرَ بِهِمْ قُرَيْشٌ، وَكَانُوا عَشَرَةَ رِجَالٍ وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ، وَقَدْ سَافَرُوا بَحْرًا.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ لَحِقَ بِهِمْ مُهَاجِرُونَ آخَرُونَ، حَتَّى بَلَغَ عَدَدُهُمْ نَحْوَ مِائَةِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ.

اغْتَاظَتْ قُرَيْشٌ لِهِجْرَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَأَرْسَلَتْ وَفْدًا مِنْ رِجَالِهَا يَحْمِلُونَ الْهَدَايَا لِلنَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ رَدَّ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى بِلادِهِمْ، لَكِنَّهُمْ فَشِلُوا فِي مُهِمَّتِهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ خَائِبِينَ.



ثُمَّ اتَّجهتْ قُرَيْشٌ إلَى وَسِيلَةٍ جَدِيدَةٍ فِى إيذَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمُحَارَبَةِ الدَّعْوةِ، فَقَرَّرُوا مُقَاطَعَةَ بَنِى هَاشِمٍ وَبَنِى الْمُطَّلِبِ، مُسْلِمِهِمْ وكَافِرِهِمْ، وَتعَاهَدُوا عَلَى ألا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا وَلا يَشْتَرُوا مِنْهُمْ، وَلا يُزَوِّجُوهُمْ وَلا يَتَزَوَّجُوا مِنْهُمْ، وكَتَبُوا ذَلِكَ فِى صَحِيفَةٍ، وَعَلَّقُوهَا فِى جَوْفِ الْكَعْبَةِ.

وكَانَ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ الْمُقَاطَعَةِ أَنْ قَاسَى الْمُسْلِمُونَ الشَّدَائِدَ وَالأَهْوَالَ، فَأَكَلُوا أَوْرَاقَ الشَّجَرِ وَالْجُلُودَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، وَلَمَّا رَأَى بَعْضُ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ذَلِكَ مَزَّقُوا الصَّحِيفَةَ وَأَنْهَوا الْمُقَاطَعَةَ، وَخرَجَ النَّبِىُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الشِّعْبِ وَعَادُوا إِلَى نَشْرِ دَعْوَتِهِمْ.



وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصِيرةٍ مَاتَ « أَبُوطَالِبٍ »، ثُمَّ مَاتَتْ « خَدِيجَةُ » رَضِى اللَّهُ عَنْهَا، وكَانَا خَيْرَ عَوْنٍ لِلنَّبِى ﷺ فِى دَعْوَتِه، وَسَمَّى النَّبِىُّ ﷺ هَذَا الْعَامَ بِعَامِ الْحُزْنِ.

أَخَذَتْ قُرَيْشٌ تَشْتَدُّ فِى إِيذَاءِ النَّبِى ﷺ أَكْثَرَ من ذى قَبْل، فَذَهَبَ إِلَى الطَّائِفِ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا نَصِيراً، لَكِنَّ أَهْلَهَا سَخِرُوا مِنْهُ وَاسْتَهْزَءُوا بِه، فَعَادَ إِلَى مَكَّةَ حَزِيناً.

وَاتَّجَهَ النَّبِىُّ إِلَى عَرْضِ دَعْوَتِه عَلَى الْقَبَائِلِ الَّتِى تَأْتِى مَكَّةَ فِى مَوْسِمِ الْحَجِّ، يَدْعُوهَا إِلَى الإِسْلامِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ سِتَّةُ رِجَالٍ مِنْ « يَثْرِبَ » (الْمَدِينَة) وَأَعْلَنُوا إِسْلامَهُمْ، وَبَعْدَ عَوْدَتِهِمْ إِلَى بَلَدِهِمْ عَمِلُوا عَلَى نَشْرِ الدِّينِ الْجَدِيد.



وَفِى الْعَامِ التَّالِى خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلا، وَقَابَلُوا النَّبِىَّ ﷺ عِنْدَ الْعَقَبَةِ بِمِنًى، وَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلامِ، وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ بِبَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الأُولَى، وَفِى الْعَامِ التَّالِى خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ثَلاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلا وَامْرَأَتَانِ قَاصِدِينَ مَكَّةَ لِلْحَجِّ، فَقَابَلُوا النَّبِىَّ ﷺ فِى مِنًى، وَبَايَعُوهُ عَلَى النُّصْرَةِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ، وَأَنْ يُقَدِّمُوا أَرْوَاحَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ نُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ، وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ بِبَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْكُبْرَى.

أَذِنَ النَّبِىُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا سِرًّا مِنْ مَكَّةَ تَارِكِينَ أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلَهُمْ وَدِيَارَهُمْ لِنُصْرَةِ الدِّينِ، وَلَمْ يَبْقَ فِى مَكَّةَ سِوَى النَّبِىِّ ﷺ، وَ« أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ » وَبَعْضِ الصَّحَابَةِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ عَزَمَتْ قُرَيْشٌ



عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَاخْتَارَتْ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًّا قَوِيًّا، لِيَتَوَلَّوْا هَذِهِ الْمُهِمَّةَ، فَيَتَفَرَّقَ دَمُهُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَلَا يَسْتَطِيعَ أَهْلُهُ الأَخْذَ بِالثَّأْرِ لَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ، وَأَمَرَهُ بِالْهِجْرَةِ.

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ دَارِهِ، وَقَدْ أَعْمَى اللَّهُ الْكُفَّارَ فَلَمْ يَرَوْهُ، وَذَهَبَ إِلَى دَارِ صَاحِبِهِ «أَبِي بَكْرٍ»، وَسَارَا مَعًا حَتَّى وَصَلَا إِلَى غَارِ «ثَوْرٍ»، فَاخْتَفَيَا فِيهِ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اتَّجَهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَيْثُ اسْتَقْبَلَهُ أَهْلُهَا بِالْبِشْرِ وَالتَّرْحَابِ.

وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَأَصْلَحَ بَيْنَ الأَوْسِ



وَالْخَزْرَجِ. وَنَظَّمَ شُئُونَ الْمَدِينَةِ وَأَسَّسَ نُظُمَهَا.

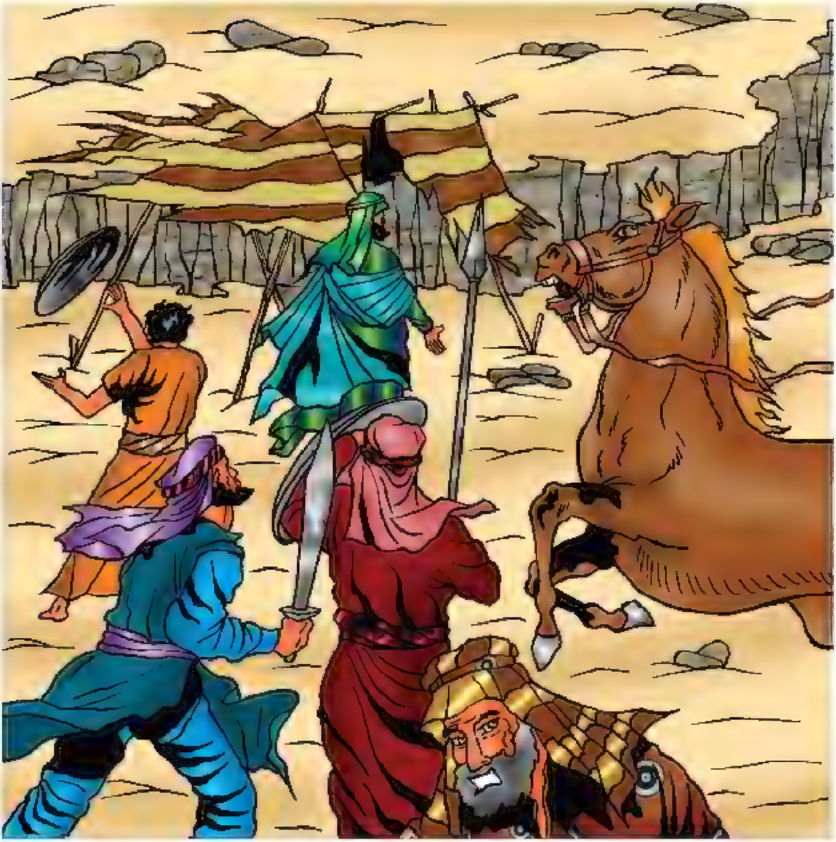
وَفِى الْعَامِ الثَّانِى مِنَ الْهِجْرَةِ عَلِمَ النَّبِىُّ ﷺ بِأَمْرِ قَافِلَةٍ لِقُرَيْشٍ عَائِدَةٍ مِنَ الشَّامِ إِلَى مَكَّةَ بِتِجَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَرَّرَ الاسْتِيلاءَ عَلَيْهَا، نَظِيرَ مَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، فَخَرَجَ فِى نَحْوِ (٣١٧) رَجُلا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ.

عَلِمَ « أَبُو سُفْيَانَ » بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ النَّبِىُّ ﷺ ، فَهَرَبَ بِالْقَافِلَةِ، وَطَلَبَ مِنْ قُرَيْشٍ، الَّتِى خَرَجَتْ لِنَجْدَةِ الْقَافِلَةِ، أَنْ تَعُودَ إِلَى مَكَّةَ، لَكِنَّهَا رَفَضَتْ وَأَصَرَّتْ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ فِى نَحْوِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، عَلَى رَأْسِهِمْ « أَبُو جَهْلٍ ».



وَالْتَقَى الْفَرِيقَانِ عِنْدَ «بَدْرٍ»، وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ انْتِصَارًا عَظِيمًا فِى (١٧ مِنْ رَمَضَانَ) مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ.

حَزِنَتْ قُرَيْشٌ عَلَى هَزِيمَتِهَا وَمَقْتَلِ كَثِيرٍ مِنْ زُعَمَائِهَا، فَقَرَّرَتِ الثَّأْرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَعَدَّتْ لِذَلِكَ جَيْشًا كَبِيرًا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَخَرَجُوا بِهِ لِمُلَاقَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمَّا بَلَغَ النَّبِىَّ ﷺ هَذَا الْخَبَرُ، خَرَجَ فِى جَيْشٍ ضَمَّ نَحْوَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَنَزَلَ عِنْدَ جَبَلِ «أُحُدٍ»، وَدَارَتِ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُزِمَ الْمُشْرِكُونَ وَفَرُّوا مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، وَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ قَدِ انْتَهَتْ،



فَانْشَغَلُوا بِجَمْعِ الْغَنَائِمِ، وَانْتَهَزَ الْكُفَّارُ الْفُرْصَةَ، وَانْقَضُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَاضْطَرَبَتْ صُفُوفُهُمْ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَاسْتُشْهِدَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ «حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُصِيبَ الرَّسُولُ بِجُرُوحٍ فِي وَجْهِهِ وَسَقَطَتْ بَعْضُ أَسْنَانِهِ، وَتَحَوَّلَ نَصْرُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَزِيمَةٍ.

أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ يُعِدُّونَ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نِهَائِيًّا، فَجَمَعُوا جَيْشًا بِمُسَاعَدَةِ الْيَهُودِ قِوَامُهُ عَشَرَةُ آلافِ مُقَاتِلٍ مِنَ الْقَبَائِلِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَقَصَدُوا الْمَدِينَةَ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَلَكِنَّهُمْ فَشِلُوا فِي



اقْتِحَامِ الْخَنْدَقِ الَّذِى حَفَرَهُ الْمُسْلِمُونَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَظَلَّ الْمُشْرِكُونَ مُحَاصِرِينَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِم رِيحًا شَدِيدَةً، اقْتَلَعَتْ خِيَامَهُم، وَشَرَّدَتْ جُمُوعَهُمْ، فَفَرُّوا مَذْعُورِينَ، وَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ.

وَفِى أَوَاخِرِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ عَزَمَ النَّبِىُّ ﷺ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا، وَخَرَجَ مَعَهُ نَحْوُ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الْحُدَيْبِيَةِ وَهِىَ مَكَانٌ قُرْبَ مَكَّةَ، عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِمَجِيئِهِمْ، فَقَرَّرَتْ مَنْعَهُمْ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ.



وَكَادَتْ تَنْشَبُ حَرْبٌ لَوْلا أَنِ اتَّفَقَ الْفَرِيقَانِ عَلَى عَقْدِ صُلْحٍ بَيْنَهُمَا وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِاسْمِ «صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ»، وَكَانَ مِنْ شُرُوطِهِ أَنْ يُؤَجِّلَ النَّبِىُّ ﷺ عُمْرَتَهُ إِلَى الْعَامِ الْقَادِمِ، وَأَنْ تَتَوَقَّفَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا مُدَّةَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَأَنْ تُتْرَكَ الْحُرِّيَّةُ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ أَنْ تَنْضَمَّ إِلَى أَىِّ فَرِيقٍ تَخْتَارُهُ، فَانْضَمَّتْ «خُزَاعَةُ» إِلَى حِلْفِ الْمُسْلِمِينَ، وَانْضَمَّتْ «بَنُو بَكْرٍ» إِلَى حِلْفِ قُرَيْشٍ.



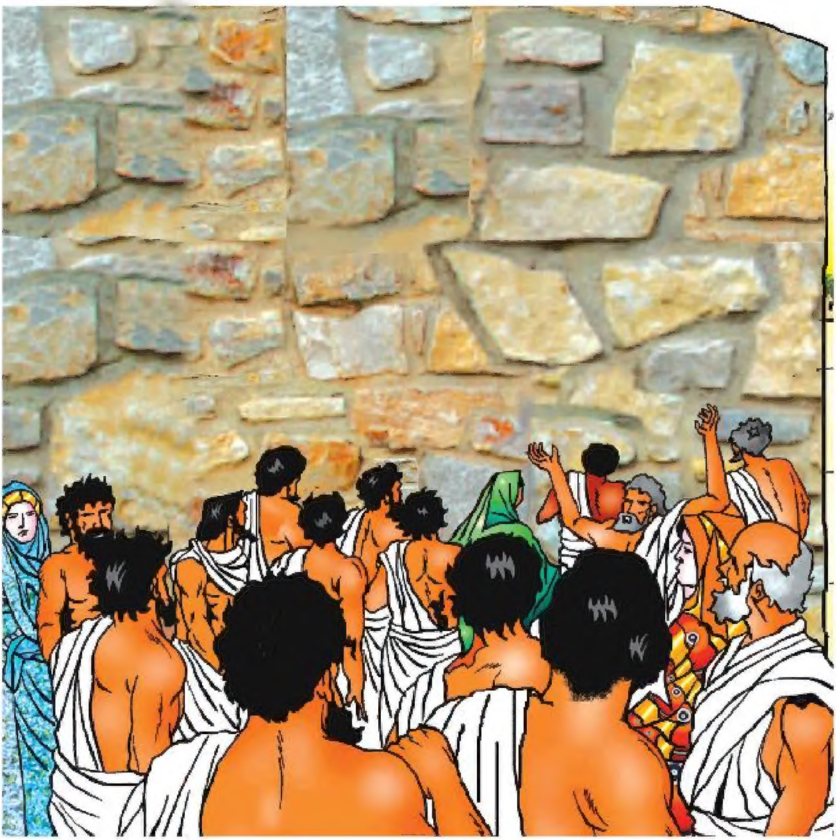
وَقَدْ أَعْطَتْ هَذِهِ الْمُعَاهَدَةُ الْفُرْصَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ وَإِبْلاغِهَا لِكُلِّ أَرْجَاءِ الدُّنْيَا، فَأَرْسَلَ إِلَى « النَّجَاشِيِّ » مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَ« الْمُقَوْقِسِ » حَاكِمِ مِصْرَ، وَ« كِسْرَى » إِمْبرَاطُورِ الْفُرْسِ، وَ« قَيْصَر » إِمْبرَاطُورِ الرُّومِ، وَمَلِكِ الْبَحْرينِ، وَمَلِكِ عُمَانَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ حُكَّامِ الْعَالَمِ.

وَكَانَ لِهَذِهِ الرَّسَائِلِ صَدًى كَبِيرٌ، فَدَخَلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ فِي الإِسْلامِ، وَأَسْلَمَ بِإِسْلامِهِمْ أَقْوَامُهُمْ، وَكَانَ هَذَا نَصْرًا مُبِينًا لِلإِسْلامِ.

وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْضَ الصَّحَابَةِ لِكَيْ يُعَلِّمُوهُمُ الإِسْلامَ، وَيُقْرِئُوهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَرِّفُوهُمْ أُمُورَ دِينِهِمْ.



وَبَعْدَ أَنِ اسْتَقَرَّ وَضْعُ الْمُسْلِمِينَ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ وَخَارِجَهَا، حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِى الْحُسْبَانِ، إِذِ اعْتَدَتْ قَبِيلَةُ «بَنِى بَكْرٍ» وَهِىَ مِنْ حُلَفَاءِ قُرَيْشٍ عَلَى قَبِيلَةِ «خُزَاعَةَ» حُلَفَاءِ النَّبِىِّ ﷺ، وَقَامُوا بِإِحْرَاقِ مَنَازِلِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، فَغَضِبَ النَّبِىُّ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا، وَأَعَدَّ جَيْشًا كَبِيرًا لِفَتْحِ مَكَّةَ، وَعِنْدَمَا رَأَى أَهْلُ مَكَّةَ الْجَيْشَ اسْتَسْلَمُوا، وَدَخَلَ النَّبِىُّ ﷺ مَكَّةَ فَاتِحًا فِى الْعَامِ الثَّامِنِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَصَفَحَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ، قَائِلًا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ، فَدَخَلُوا جَمِيعًا فِى الإِسْلَامِ.



وَبَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ عَادَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَظَلَّ يَدْعُو إِلَى الإِسْلامِ، وَلَمْ تَكَدْ تَأْتِى السَّنَةُ الْعَاشِرَةُ مِنَ الْهِجْرَةِ حَتَّى كَانَتْ شِبْهُ الْجَزِيرَةِ كُلُّهَا تَدِينُ بِالإِسْلامِ.

وَقَبْلَ أَنْ يُتَوَفَّى النَّبِىُّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْحَجِّ وَمَعَهُ نَحْو مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، طَافُوا بِالْكَعْبَةِ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى مِنًى، وَبَعْدَهَا اتَّجَهُوا نَحْوَ جَبَلِ عَرَفَات، وَهُنَاكَ وَقَفَ النَّبِىُّ ﷺ وَأَلْقَى خُطْبَتَهُ الَّتِى بَيَّنَ فِيهَا مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَأَحْكَامَهُ، وَتُعْرَفُ هَذِهِ الْحَجَّةُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ.

وَفِى الْعَامِ التَّالِى مَرِضَ النَّبِىُّ ﷺ مَرَضًا شَدِيداً، وَانْتَقَلَ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ فِى (١٢ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ ١١ هـ)، وَهُوَ فِى الثَّالِثَةِ وَالسِّتِّينَ مِنْ عُمُرِهِ.